سيمياء الألوان
في شعر ابن اللبانة الداني

الباحثة/ فاطمة عبد الحميد محمد علي

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف عند أبرز العلامات السيميائية للألوان في شعر ابن اللبانة الداني، ومن ثم الكشف عن أبرز الدلالات التي أنتجتها شفرات الألوان المتعددة داخل أشعاره، والتي عبرت عن مقصدية الشاعر وأبانت عن مضامينه العميقة متمثلة فيما يظهره السياق الشعري، والمقام التواصلي من دلالات متنوعة يستطيع المتلقي أن يتعرفها داخل قصائد الشاعر.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج السيميائي الذي يبحث في مضامين النص العميقة عبر البحث في الشفرات والأيقونات اللغوية التي وظفها الشاعر من أجل الإشارة إلى دلالة خاصة يقصدها في أشعاره المتنوعة، ومن ثم يجعل المتلقي أكثر تفاعلا من خلال البحث والتفسير والتحليل والوقوف عند فك شفرات ذلك النص.

وقد توصل هذا البحث إلى عدة نتائج لعل من أبرزها اهتمام الشاعر بتوظيف الالوان المباشرة وغير المباشرة معًا عبر شفرات اللون المتنوعة، وكذلك جعل اللون من الأيقونات السيميائية التي تبين عن مضامين الشاعر وتكشفها للمتلقي، ونتائج أخرى ضمنتها الخاتمة.

كلمات مفتاحية: السيميائية- الألوان- الشفرة- الأيقونة- ابن اللبانة الداني.

Search summary:

This research aims to examine the most prominent semiotic signs of colors in the poetry of Ibn al-Labbanah al-Dani, and then reveal the most prominent connotations produced by the multiple color codes within his poetry, which expressed the poet's intention and revealed its deep implications, represented by what the poetic context and the communicative position reveal in terms of various connotations. The recipient can recognize it within the poet's poems.

The study relied on the semiotic approach, which investigates the deep contents of the text through research into the linguistic codes and icons that the poet employed in order to indicate a special meaning intended by him in his various poems, and thus makes the recipient more interactive through research, interpretation, analysis, and stopping at the decoding of that text.

This research has reached several results, perhaps the most prominent of which is the poet's interest in employing direct and indirect colors together through various color codes, as well as making color one of the semiotic icons that reveal the poet's contents and reveal them to the recipient, and other results included in the conclusion.

Keywords: Semiotics - colors - code - icon - Ibn al-Labbanah al-Dani

مقدمة:

يكشف توظيف الألوان داخل النص الشعري عن دلالات متعددة يقصد إليها الشاعر، وهذه الدلالات –دون شك– تظهر كعلامات مركزية يمكن الوقوف عندها من أجل البحث عن مضامين الشاعر الخفية "فاللون بنية أساسية في تشكيل القصيدة، وركيزة مهمة، تقوم عليها الصورة الشعرية بكل جوانبها من الشكل إلى المضمون، إذ يتحمل اللون قدرًا كبيرًا من العناصر الجمالية، وإضاءات دالة تعطي أبعادًا فنية في العمل الأدبي على وجه الخصوص"(١). فلكل لون إيحاؤه الدلالي داخل النص الشعري.

والشاعر يستطيع أن ينفذ إلى الدلالة التي يقدمها اللون داخل قصيدته عبر ما يتراءى له من تأثير ودلالة ترتبط بلون معين دون غيره، فقد يشير الأبيض إلى السعادة والفرح، وقد يشير كذلك إلى الحزن والألم "فالصور والألوان تنطلق من جوانية الشاعر، وخبرته البصرية، ووعيه التاريخي، وحفرياته الأسطورية، وتجربته النقدية، وتجواله ومشاهداته التشكيلية" (٢). ذلك أن الشاعر هو الذي يمكنه وضع الدلالة التي تنبعث من توظيف هذا اللون دون غيره، حيث "يرجع اختلاف تأثير اللون من شاعر إلى آخر؛ لتباين ظروف الحياة في شتى مجالاتها، كما أن أنظمة اللون تحولية ومتغايرة لا تخضع لمعايير ثابتة في المقياس التأثيري والحركي، وإنما تعتمد على حساسية اللون، وتفعيل مراياه في ارتباطها بدرجة حساسية الحال الشعرية، وعمق حاجتها للتلوين"(٣). ومن ثم فلكل لون تأثيره الدلالي الخاص الذي يظهر حسب سياقه الشعري، وحسب توظيفه داخل القصيدة.

وللألوان فاعلية سيميائية كبيرة، إذ إنها تمثل أيقونات بصرية يمكن للشاعر من خلالها أن يبث مضامينه العميقة بشكل علاماتي، وينفذ من خلالها إلى دلالات كثيرة متنوعة يكشف عنها سياقه الشعري "إن من أهم خصائص استخدام اللون هو فهمه بوصفه رمزًا، وتتركز رمزية اللون في كونه حاملاً للفكرة الدرامية، ولنظام التعبير من حيث إن اللون معبر بذاته من دون

(١) يوسف حسن نوفل: الصورة الشعرية والرمز اللوني، دراسة تحليلية إحصائية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور، دار المعارف، القاهرة، ب.ت، ص ٤١.

(٢) عز الدين المناصرة: جمرة النص الشعري، مقاربات في الشعر والشعراء والحداثة والفاعلية، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٥٩.

(٣) محمد صابر عبيد: مرايا التخييل الشعري، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٤.

تدخل أي مؤثرات أو وسيلة أخرى، أي أنه مضمون خارج الشكل، إنه تجريد، والشاعر هو الذي يمنح اللون الأفكار والأحاسيس التي يريدها، ويحوله إلى رمز" [١].

وفي شعر ابن اللبانة الداني احتلت الألوان مكانة بارزة، حيث قام الشاعر بتوظيفها داخل قصائده بشكل كبير، وقد كشفت هذه الألوان عن بعض الدلالات المتنوعة، فعند البحث عن دلالات اللون من الناحية السيميائية فإننا يجب أن نراعي "عمق الخبرة، وكثافة التجربة، وطبيعة البيئة الثقافية، وإستراتيجية تشكلها، وحساسية التفكير، وأنموذج الرؤية هي التي تصنع للون رمزه وبعده الدلالي، وقيمته السيميائية"[٢]. ومن ثم فإننا سنقوم بدراسة الألوان لدى ابن اللبانة الداني على النحو التالي:

[١] سيمياء اللون المباشر:

وظف ابن اللبانة الداني عديدًا من الألوان بمسماها المباشر داخل ديوانه، وهذه الألوان وردت داخل سياقها الشعري حاملة أكثر من تأويل وتفسير، أو بالأحرى جاءت لتمثل علامة سيميائية تكشف عن دلالات مباشرة وأخرى عميقة، وقد جاء كل من اللون الأسود والأبيض كأكثر الألوان ورودًا داخل ديوان ابن اللبانة، وأكثر الشاعر من عقد المقارنات بين اللونين داخل السياق الواحد؛ ليقارن من خلالهما بين صورتين متقابلتين يريد أن يظهرهما للمتلقي، وقد وظف الشاعر كذلك الألوان الأخرى، ومثلت علامات متعددة داخل السياق.

ويأتي اللون الأسود بصيغته المباشرة لدى الشاعر بشكل متكرر على طول الديوان، وهذا اللون عبر تشكلاته السيميائية قد أنتج عددًا من الدلالات، فقد تشير الدلالة السيميائية للون الأسود إلى شدة الإغراق في الصفة ، ومن ذلك قول ابن اللبانة الداني: (الطويل)

أُذَكِّرُ مَنْ يَنْسَى عَهْدًا وَلا يَنْسَى ∴ وَأَبْسُطُ فِي أَكْنَافِ سَاحَتِهِ النَّفْسَا

وَأُنْشِئُهَا خَلْقًا جَدِيدًا وَأَغْتَدِي ∴ بِظِلِّ عُلاهُ أَغْتَدِي مَعَهُ الأُنْسَا

وَأَلْبَسُ رَيْعَانَ الشَّبَابِ وَظَالَمَا ∴ لَبِسْتُ الخُطُوبَ السُّودَ مَادِيَةً وَرْسَا

وَإِنِّي وَإِيَّاهُ لَمُزْنٌ وَرَوْضَةٌ ∴ يُبَاكِرُنِي سَقْيًا وَأَزْكُو لَهُ غَرْسَا[٣]

---

(١) تيسير جريكوس، فاديا سليمان: سيميائية اللون في شعر الماغوط، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، عدد ٢٤، ٢٠١٧م، ص ٣٢، جامعة تشرين، سوريا.

(٢) شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، العدد ٢٦٧، مارس ٢٠٠١م، الكويت، ص ٤٤.

(٣) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٧٩.

فالشاعر في البيت الثالث من هذه الأبيات السابقة يوظف اللون الأسود، وهذا اللون يشتغل كعلامة سيميائية تحمل مدلولًا مباشرًا وآخر عميقًا، إذ يشير هذا اللفظ في معناه المباشر إلى ذلك الدال الذي يشير إلى السواد ، بينما يوظفها الشاعر وسط سياقها لتدل على المصائب والأحداث الثقال؛ إذ يريد أن يقول بأنه صاحب ذلك الملك – ناصر الدولة – وتحمله في كل أحواله سواء في وقت أفراحه، أو حتى عندما كانت تنزل به المصائب الثقال.

ودلالة اللون الأسود في سياق الأبيات السابقة تخالف معناها المباشر السطحي إلى معنى آخر لا يتضح إلا من خلال الوقوف على الدلالة العامة للأبيات؛ إذ يتحول اللون الأسود من كلمة تصف لنا لونًا إلى دلالة تصف لنا حادثةً، وهي المصائب التي طالما تحملها الشاعر في سبيل القرب من هذا الملك.

ومن ذلك أيضًا قول الشاعر متغزلًا: (مجزوء البسيط)

يَـــا شَـــادِنًا حَـــلَّ فِـــي الـــسَّوَادِ ∴ مِـــنْ لَحْـــظِ عَيْنَـــيْ وَمِـــنْ فُـــؤَادِي

وَكَعْبَـــــةً لِلْجَمَـــــالِ طَاقَـــــتْ ∴ مِـــنْ حَوْلِهَـــا أَنْفُـــسُ الْعُبَّـــادِ

مَـــا زِدْتَنِـــي فِـــي الْوَصَـــالِ حَظًّـــا ∴ إِلاَّ غَـــدًا الـــشَّوْقُ فِـــي ازْدِيـــادِ[1]

فالشاعر في هذه الأبيات يوظف اللون الأسود بصيغته المباشرة في البيت الأول، وهذا اللون مثل أيقونة سيميائية تحمل معنيين، الأول مباشر وسطحي وهو لفظ (السواد)، بينما يشير الثاني إلى المعنى العميق، والذي يقصد به الشاعر سواد عيونه، وكذلك السواد من فؤاده؛ إذ يمثلان مجال الرؤية والشعور، وكأنه يريد أن يخبرنا بأن هذا المحبوب قد شغل منه جميع الجوارح التي أصبحت متعلقة به؛ إذ إن ذلك المحبوب يشبه الغزال في جماله، وهذا الجمال قد جعل الشاعر يتعلق به.

واللون الأسود في الأبيات المسابقة قد مثل علامة سيميائية كونه يحمل معنى مباشرًا وآخر عميقًا؛ إذ تختلف دلالة المعنى الأول عن الثاني، وبهذا كان على المتلقي أن يبحث خلف هذه العلامة اللغوية، ويحاول تفسيرها عبر السياق حتى يصل إلى دلالات الشاعر المقصودة.

ويأتي اللون المباشر/ الأبيض داخل أشعار ابن اللبانة الداني ليمثل أيقونة سيميائية تشير عبر توظيفها إلى دلالات عميقه قصد لها الشاعر قصدًا داخل سياقه الشعري، وفي السياق العام "يرمز اللون الأبيض إلى الطهارة والنور والسلام، والفرح، ويأتي في الثقافة اليونانية ليدل

(١) المصدر السابق، ص ٥٠، ٥١.

على السعادة والمرح، كما أنه يرمز إلى الرقة والوداعة والصفاء والنقاء والطهارة والسلام والصداقة"[١].بينما نجده عند ابن اللبانة يكشف عن الدلالات التالية، حيث نراه يقول في بعض قصائده: (البسيط)

تِلْكَ الرِّمَاحُ رِمَاحُ الخَطِّ ثَقَّفَهَا ∴ خَطْبُ الزَّمَانِ ثِقَافًا غَيْرَ مُعْتَادِ

وَالبِيضُ بِيضُ الظُّبَى فَلَّتْ مَضَارِبَهَا ∴ أَيْدِى الرَّدَى وَثَنَتْهَا دُونَ إِغْمَادِ

لَمَّا دَنَا الوَقْتُ لَمْ تُخْلِفْ لَهُ عِدَةً ∴ وَكُلُّ شَيْءٍ لِمِيقَاتٍ وَمِيعَادِ[٢]

ففي هذه الأبيات يحاول الشاعر أن يصور حياة المعتمد بن عباد بعدما وقع في الأسر ونقل إلى سجن أغمات، ومن ثم فهو يوظف اللون الأبيض بصورته غير المباشرة من أجل تصوير حال المعتمد إذ يستخدم اللون (الأبيض) في البيت الثاني من الأبيات السابقة، وهذا اللون عبر دلالته السيميائية العميقة إنما يدل على السيف وليس على اللون في حد ذاته؛ حيث يريد الشاعر بأن يقول إن هذا السيف – ويقصد به المعتمد بن عباد – قد أخطأ مضربه ومكانه بسبب مصائب الدهر وحوادثه، إذ أتى عليه الزمان فجعله ينثني.

والذي ينظر إلى اللون الأبيض في الأبيات السابقة يجد أنه قد مثل أيقونة سيميائية عبرت بشكل غير مباشر عن مقصدية الشاعر ومعناه ، إذ يشير المعنى المباشر إلى اللون الأبيض في حد ذاته، بينما يشير المعنى العميق إلى السيف، وهي دلالة اجتماعية معروفة لدى العرب قديمًا.

ويعمد الشاعر في مواضع كثيرة من ديوانه إلى توظيف اللون بقصد دلالاته غير المباشرة، إذ يوظف اللفظ المباشر الذي يمنح من خلال سياقه الشعري دلالات أخرى غير مباشرة، فنراه على سبيل المثال وهو يوظف اللون الأبيض لا يقصده في حد ذاته، وإنما يشير من خلاله إلى دلالات أخرى، ومن ذلك قوله يصف الليل عند انبثاق شعاع الفجر داخله: (الكامل)

وَاللَّيْلُ قَدْ سَدَى وَأَلْحَمَ ثَوْبَهُ ∴ وَالفَجْرُ يُرْسِلُ فِيهِ خَيْطًا أَبْيَضَا[٣]

فاللون الأبيض في البيت السابق يشير إلى أيقونة سيميائية تحمل في طياتها دلالتين: الأولى هي المباشرة، والتي يقصد بها البياض كلون، بينما الدلالة الثانية تشير – عبر السياق

(١) انظر: محيي الدين طالو: الرسم واللون، طبعة الشام، دمشق، ط٧، ١٩٩٣م، ص ١٧١.

(٢) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٥٧.

(٣) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٨٢.

الشعري- إلى ظهور ضوء الشمس عندما أتى الفجر، وكأن هذا الليل بعدما كان أسودا قد تغير لونه بعدما اختلط السواد بالبياض الذي أتى من ضوء الفجر.

أما عن اللون الأحمر"فيعتبر من أشد الألوان قساوةً وقوةً، وهو يضفي على الإنسان الشعور بالدفء والحرارة والحيوية والنشاط؛ كونه مرتبطًا بعناصر طبيعية؛ مثل الشمس والنار والدم وغيرها"[1]. ويكثر الشاعر من استخدامه داخل ديوانه، ونراه على طول الديوان يمثل علامات سيميائية متنوعة يبرز من خلالها دور كل من الدال والمدلول، ونجد أن معظم حالات ورود اللون الأحمر جاءت بصيغتها المباشرة، فنجد ابن اللبانة يقول في إحدى قصائده: (الكامل)

طَافَتْ عَلَيَّ بِجَمْرَةٍ مِنْ خَمْرَةٍ ∴ فَرَأَيْتُ مِرِّيخًا بِرَاحَةِ مُشْتَرِي

فَكَأَنَّ أَنْمُلَهَا سُيُوفُ مُبَشِّرٍ ∴ وَقَدِ اكْتَسَتْ عَلَقَ النَّجِيعِ الأَحْمَرِ[2]

يأتي اللون الأحمر في هذه الأبيات، وقد ارتبطت دلالته بالسياق العام للأبيات؛ إذ جاء مرتبطًا بما ورد من معانٍ في البيت الأول، وكذلك الثاني، فالشاعر هنا يحاول أن يقرن الغزل بالمديح، ومن ثم يصور في البيت الأول أن تلك الفتاة قد طافت عليه بكأس من الخمر التي تشبه في خمرتها كوكب المريخ، ثم يورد في البيت الثاني أن تلك الفتاة تشبه أناملها سيوف الملك مبشر ناصر الدولة، وهذه السيوف قد اكتست بالنجيع الأحمر، أي بالدماء الحمراء، وكأن هذه السيوف دائمًا تقطع رقاب الأعداء، ولا تتوقف أبدًا، ومن ثم فهي تشبه تلك الخمرة الحمراء التي اكتست باللون الأسود.

والذي ينظر إلى اللون الأحمر الذي ورد في البيت الثاني يجد أنه يعبر عن أيقونة سيميائية ترتبط بدلالة مباشرة، وأخرى عميقة، إذ تشير الأولى إلى لفظ (الأحمر) في حد ذاته كدلالة أولية تنحصر في شكلها المعجمي، بينما تشير الدلالة العميقة إلى الدماء وكثرتها على سيف ذلك الملك الذي لا يتوقف أبدًا عن الضرب، وكأن هذا اللون الأحمر هو دلالة أخرى تعبر عن القوة والشجاعة.

---

(١) نائل درويش: سيمياء الألوان في شعر بلند الحيدري، ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٤م، ص ٦١.

(٢) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٧٦.

ويعاود الشاعر ليستخدم اللون الأحمر في موضع آخر من ديوانه، وفي هذه المرة يوظفه في سياق الغزل؛ حيث يجعل اللون الأحمر دلالة سيميائية تشير إلى جمال المحبوب، وشدة خجله، وذلك كما يقول: (السريع)

مُهَفْهَفِ الكَشْحِ قَرِيبِ الخَطَا ∴ بَعِيدِ مَهْوَى القُرْطِ طَوْعِ العِنَاقِ

تُرُوقُ لِي فِي خَدِّهِ حُمْرَةٌ ∴ تَشْهَدُ لِي أَنَّ دَمًا قَدْ أَرَاقَ[1]

ففي هذه الأبيات يقدم الشاعر وصفًا للمحبوب الذي يريد أن يتغزل فيه، ومن خلال ذلك يوظف اللون الأحمر الذي يظهر كأيقونة سيميائية خلال السياق؛ حيث تشير في معناها المباشر إلى اللون الأحمر، بينما تشير في معناها العميق إلى شدة الخجل أو شدة الجمال، فالشاعر هنا يصف لنا خد المحبوب، وما يتسم به من حمرة شديدة، وكأن الدماء قد أريقت عليه، وهذه الحمرة ترتبط في السياق الاجتماعي العام بشدة الخجل، وبشدة جمال المحبوب، وكأن الشاعر يريد أن يظهر تلك السمات التي يستحسنها الجميع في المتغزل بشكل عام، ومن ثم فهو يعتمد في ذلك على شفرة اللون الأحمر.

أما اللون الأخضر "فيرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس، فهو إلى السلبية أقرب منه إلى الإيجابية، كما أنه يمثل التجدد والنمو، والأيام الحافلة بالشباب، إنه لون الطبيعة الخصبة، رغم أنه نادرًا ما يكون هو المسيطر في الجو"[2]. وقد ورد في ديوان ابن اللبانة بصيغته المباشرة، وورد بكثرة في مواضع متنوعة، وهذا اللون عبر توظيفه داخل السياقات المتنوعة ظهر كعلامة سيميائية حاول الشاعر من خلالها أن يضفي بعض الدلالات المتنوعة على خطابه الشعري؛ إذ تظهر دلالة اللون الأخضر في كل موضع وكأنها النقطة المركزية التي يجب أن يبدأ من عندها تفسير وتأويل الخطاب الشعري، ومن ذلك قول ابن اللبانة: (الكامل)

يَوْمٌ تَكَاثَفَ غَيْمُهُ فَكَأَنَّهُ ∴ دُونَ السَّمَاءِ دُخَانُ عُودٍ أَخْضَرِ

وَالطَّلُّ مِثْلُ بَرَادَةٍ مِنْ فِضَّةٍ ∴ مَنْثُورَةٍ فِي تُرْبَةٍ مِنْ عَنْبَرِ

وَالشَّمْسُ فِي حُجُبِ السَّمَاءِ كَأَنَّهَا ∴ حُسْنًا تَسْتُرُ تَحْتَ كُلَّةِ تَسْتُرِ[3]

(١) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٩٥.

(٢) أحمد مختار عمر: اللغة والفنون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ص ١٨٥.

(٣) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٧٠، ٧١.

فالشاعر في هذه الأبيات يصف لنا ذلك اليوم الذي ملأت فيه الغيوم السماء، فأصبحت وكأنها تمتلئ بالدخان الكثيف، وهذا الدخان إنما يصدر من عود (أخضر)، وتلك دلالة على شدة دخانه، ذلك أن لفظة أخضر لم يقصد بها الشاعر تلك الدلالة المباشرة، وإنما قصد بها ذلك العود الرطب الذي مهما أشعلت به النيران، فإنه لا يشتعل، ولكن في المقابل يصدر دخاناً كثيفاً؛ لأن النيران لا تستطيع أن تحرقه، ومن ثم فإن الشاعر قصد ذلك المعنى البعيد الذي عبرت عنه تلك الدلالة السيميائية في توظيف اللون الأخضر، وما يوحي به من دلالات ضمنية يكشف عنها السياق.

ويظهر اللون الأخضر كذلك في سياق الأبيات لدى ابن اللبانة الداني ليمثل أيقونة سيميائية يحاول الشاعر من خلالها أن يطرح معانيه إلى المتلقي؛ حيث نراه يقول: (الطويل)

قُصُورٌ خَلَتْ مِنْ سَاكِنِيهَا فَمَا بِهَا ∴ سِوَى الأُدُمِ تَمْشِي حَوْلَ وَاقِفَةِ الدُّمَى

يُجِيبُ بِهَا الهَامَ الصَّدَى وَلَطَالَمَا ∴ أَجَابَ القَيَانُ الطَّائِرَ المُتَرَنِّمَا

..... ∴ .....

وَلا اخْضَرَّ رَوْضٌ فِي رُبَاهَا فَخِلْتُهُ ∴ تَوَشَّحَ مِنْهُمْ لا مِنَ النُّورِ أَنْعَمَا

وَلا انْعَطَفَتْ فِيهِ الغُصُونُ فَعَانَقَتْ ∴ وَشِيجًا بِأَيْدِي الدَّارِعِينَ مُقَوَّمَا[1]

فلفظة (أخضر) في الأبيات السابقة جاءت كأيقونة سيميائية أشارت إلى دلالات الحياة والعيش والتنعم؛ إذ لم يوظفها الشاعر من أجل معناها المباشر (الاخضرار)، وإنما قصد إلى معناها العميق الذي يشير إلى الحياة والتنعم، ذلك أن تلك القصور التي كان يسكنها آل عباد لا تزال – رغم خلوها منهم– تنعم بمظاهر الحياة، والرياض الخضراء التي اكتسبت وجودها وحياتها من فيض عطاياهم، ومن كرمهم.

والشاعر في تلك الأبيات السابقة يحاول من خلال توظيفه لتلك اللفظة (أخضر) أن يهب تلك الأماكن والقصور سبل العيش التي كان عليها بنو عباد قبل رحيلهم منها.

وفي السياق نفسه كذلك يظهر اللون الأخضر – لدى الشاعر– كأيقونة سيميائية توضح مقصديته، وتفصح عن معانيه البعيدة التي يقصد بثها للمتلقي؛ إذ نراه يقول في مديح المعتمد: (الطويل)

(١) المصدر السابق، ص ١٢٤، ١٢٥.

أَمَـــا عَلَـــمَ المُعْتَـــدُّ بِـــاللهِ أَنَّنِـــي ∴ بِحَـــضْرَتِهِ فِـــي جَنَّـــةٍ شَـــقَّهَا نَهْـــرُ؟

وَمَـــا هُـــوَ نَهْـــرٌ أَعْـــشَبَ النَّبْـــتُ حَوْلَـــهُ ∴ وَلَكِنَّـــهُ سَـــيْفٌ حَمَائِلُـــهُ خُـــضْرُ[1]

فالأيقونة السيمائية التي تبين عنها لفظة (خضر) في الأبيات السابقة تحمل دلالتين، الأولى مباشرة؛ إذ تتمثل فيما تبوح عنه تلك اللفظة في معناها المباشر، وهو (الاخضرار)، بينما تمثل الدلالة الثانية ذلك المعنى العميق الذي قصد إليه الشاعر؛ حيث أراد أن يوضح مدى سعادته وتنعمه في حضرة الأمير المعتد، فوظف تلك اللفظة التي تشير إلى العطاء والكرم، فهو في حضرة ذلك الأمير كأنه في جنة شقها نهر، وهذه الجنة إنما يقصد بها الشاعر فيض عطايا ذلك الأمير.

إن اللون الأخضر بما حمله من دلالات عميقة قصد إليها الشاعر داخل قصائده جاءت كعلامات سيميائية عملت على تحقق الفكرة، وعلى إيصال المعنى إلى المتلقي بشكل فني.

ومن الألوان كذلك التي وظفها الشاعر داخل قصائده، وحملت بعض المعاني غير المباشرة، ذلك اللون الأصفر الذي "يعتبر على صعيدي التدليل والتشكيل لوناً إشكاليًا ينطوي على قدر مُهم من التعقيد والغموض والحساسية، ولا تظهر لعبة المعنى على شكل واضح إلا من خلال التناغم الذي يجب أن يحصل أدبيًا بين التشكيل والتدليل"[2]. وقد مثل لدى ابن اللبانة الداني علامة تشير إلى دلالات المفاجأة؛ إذ نرى الشاعر يقول في ذلك: (الكامل)

وَالـــوَرْدُ تَحْـــتَ الظِّـــلِّ فِيهَـــا مُـــشَبِّهٌ ∴ خَـــدًّا يَـــذُوبُ مِـــنَ الحَيَـــاءِ فَيُفْطِـــرُ

وَكَـــأَنَّ نَرْجِـــسَهَا أُصِـــيبَ بِرَوْعَتِـــي ∴ فَعَـــلاهُ لَـــوْنٌ مِثْـــلَ لَـــوْنِي أَصْـــفَرُ

فَكَأَنَّمَـــا الرَّيْحَـــانُ رُوحِـــي كُلَّمَـــا ∴ تَتَغَيَّـــرُ الأَشْـــيَاءُ لا تَتَغَيَّـــرُ[3]

فاللون الأصفر في هذه الأبيات أشار به الشاعر إلى دلالات المفاجأة والانبهار؛ حيث إن لون الشاعر يشبه لون وردة النرجس في اصفراره، وهذا اللون الذي بدا على الشاعر كان سببه أنه مروع ومندهش عندما نظر إلى ذلك الروض.

(١) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٦٥.

(٢) فاتن عبد الجبار جواد: اللون لعبة سيميائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٥٧.

(٣) ابن اللبانة الداني: ديوانه، نفس الصفحة.

ويأتي اللون الأزرق كذلك لدى الشاعر ليمثل أيقونة سيميائية تكشف خلال سياقها عن دلالتها البعيدة غير المباشرة، فحينما يوظفه الشاعر في سياق الغزل نجده يشير إلى دلالات الصفاء والعزوبة؛ حيث نراه يقول متغزلاً: (المنسرح)

وَا بِأَبِي مَنْ جَمَالُ جُمْلَتِهِ ∴ مُجْتَمِعٌ فِي صِفَاتٍ مُفْتَرِقِ

أَسْمَرُ: مِثْلُ القَنَاةِ ذُو هَيْفٍ ∴ وَطَرْفُهُ كَالسِّنَانِ ذُو زَرَقِ

سَنَّ لَهُ الحُبُّ أَنْ يُرِيقَ دَمِي ∴ لَوْ كَانَ مِمَّنْ يَرِقُّ لَمْ يُرِقِ[1]

فاللون الأزرق في هذه الأبيات عمل كعلامة سيميائية كشفت عن مدلول الشاعر الذي اراد أن يبثه داخل قصيدته، فالشاعر هنا يتحدث عن جمال عيون المحبوبة، ومدى زرقة عيونها، وكذلك صفائها؛ حيث يشبهها بطرف الرمح الأزرق، وهذا اللون إنما يشير في الرمح إلى صفاء المعدن وعذوبته دلالة إلى القوة والنفاذ، وكأن الشاعر يريد أن يقول بأن تلك المحبوبة تتسم بالعيون العذبة الصافية ذات الجمال الأخاذ، والشاعر في الأبيات السابقة ذكر المعنى المباشر (الزرق)، وأراد من وراء ذلك المعنى البعيد الذي يشير إلى النقاء والصفاء.

[٢] سيمياء اللون غير المباشر:

قد يورد الشاعر بعض الألفاظ غير المباشرة التي تدلل في سياقها على الألوان؛ كالليل دلالة على الأسود، والنهار دلالة على الأبيض، وقد أكثر الشاعر من استخدام مثل هذه الألفاظ داخل ديوانه.

والذي ينظر إلى مقصدية الشاعر من توظيفه لمثل هذه الكلمات يجد أنها جاءت كأيقونات سيميائية تحيل المعاني إلى دلالاتها البعيدة التي يقصدها الشاعر؛ إذ إنها توجه ذهن المتلقي إلى ما هو أبعد من معناها المباشر، وتشير في الوقت نفسه إلى بيان المعنى العام للأبيات، والذي يجب على المتلقي أن يتفهم سياق الأبيات أولاً من أجل الوصول إلى تلك الدلالات.

ومن خلال قصائد الديوان المتنوعة نجد أن الشاعر أشار – بشكل غير مباشر– إلى معظم الألوان، إلا أن اللونين الأبيض والأسود كثر توظيفهما لدى الشاعر، ومن ذلك نراه يشير إلى اللون الأبيض في ثنايا بعض أبياته قائلاً: (الكامل)

مَلَكٌ غَدَا مَعْنًى غَرِيبًا فِي الْعُلاَ ∴ وَغَدَتْ بِهِ الأَيَّامُ لَفْظًا مُعْرَبَا

(١) المصدر السابق، ص ٩٦، ٩٧.

أَجَلَّـى مِـنَ الـسَّيْفِ الـصَّقِيلِ الْمُنْتَـضِي ∴ صَـفْحًا، وَأَمْـضَى مِـنْ ظِبَـاهُ مَـضْرِبَا

جَاوَرْتُـهُ فَلَفَظْتُـهُ مِنْـهُ جَـوْهَرًا ∴ وَنَظَرْتُـهُ فَرَأَيْـتُ مِنْـهُ كَوْكَبَـا

رَطْـبُ اللِّـسَانِ كَأَنَّـهُ فِـي أَلْفَاظِـهِ ∴ رَاحًـا مُعَتَّقَـةً وَشَـدْوًا مُطْرِبَـا[1]

فالشاعر في هذه الأبيات يريد أن يمدح المعتمد بن عباد، وفي ثنايا مدحه يشبهه في ضيائه بالكوكب المنير، وهذه اللفظة (الكوكب) تشير إلى دلالات الضياء والبياض، وكأن الشاعر يريد أن يقول بأن هذا الملك يشبه في ضيائه وبهائه الكوكب المنير.

وتأتي تلك اللفظة (الكوكب) داخل سياق الأبيات كقرينة سيميائية يمكن النظر إليها من خلال دلالتين: الأولى مباشرة، ويقصد بها الشاعر (الكوكب) كجسم مجرد، والثانية وهي المعنى العميق، ويقصد به الضياء، وهذه الدلالة هي ما قصد إليها الشاعر داخل قصيدته.

وقد تأتي أيقونة اللون الأبيض داخل سياق الأبيات لتنتج لنا أكثر من دلالة وأكثر من معنى؛ حيث تشير اللفظة الموظفة إلى البياض، وهذا البياض يشير إلى العطاء والفضل والمكانة، ومن خلالها يريد الشاعر أن يشير غلى مكانة ممدوحه، ومن ذلك قول ابن اللبانة الداني يرثي شخصًا: (المتقارب)

ذَوَتْ زَهْـرَةٌ مِـنْ رِيَـاضِ الثَّـرَى ∴ وَغَـاضَ بِـأُفُقِ العُلَـا كَوْكَـبُ

شَـبَابٌ يُـزَفُّ بِرَيْعَانِـهِ ∴ فَرِيْـعٌ لِمِيقَاتِـهِ الأَشْـيبُ

وَقَـدْ كَـانَ قِـيْسَ بِـنَجْمِ الـدُّجَى ∴ فَلَـمْ يُـدْرَ أَيُّهُمَـا أَثْقَـبُ[2]

فجملة (نجم الدجى) في الأبيات السابقة لا يقصد بها الشاعر ذلك المعنى المباشر الذي يشير إلى النجم كجسم مفرد، وإنما يقصد به البهاء والضياء؛ ليدل في دلالته غير المباشرة إلى اللون الأبيض، وهذا اللون يقصد به الشاعر كذلك مكانة ذلك المرثي، وما كان عليه قبل مماته، ومن ثم فإن تلك اللفظة (نجم) جاءت كقرينة سيميائية مرتبطة بأيقونتها، عمل الشاعر من خلالها على بيان ما يريد إيصاله من مضامين داخل هذه القصيدة.

(١) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٢٤.

(٢) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٣٢.

ومن الدلالات السيميائية التي مثلت لوناً غير مباشر يشير إلى اللون الأحمر، ذلك التركيب التصويري الذي صور فيه الشاعر خد المحبوب بالدماء الحمراء؛ حيث نراه يقول متغزلاً: (مجزوء البسيط)

بَدَا عَلَى خَدِّهِ عِذَارٌ ∴ فِي مِثْلِهِ يُعْذَرُ الكَئِيبُ

وَلَيْسَ ذَاكَ العِذَارُ شَعْرًا ∴ لَكِنَّمَا سِرُّهُ غَرِيبُ

لَمَّا أَرَاقَ الدِّمَاءَ ظُلْمًا ∴ بَدَتْ عَلَى خَدِّهِ الذُّنُوبُ[1]

فالشاعر في هذه الأبيات يصف لنا حسن وجمال المحبوب، وفي ذلك يستخدم التركيب (بدت على خده الذنوب)، والذي يشير إلى احمرار خد المحبوب، وفي ذلك إشارة سيميائية أراد الشاعر من خلالها أن يمكّن للمعنى البعيد الضمني، والذي يشير إلى الحسن والجمال، فتلك الذنوب الموجودة على خد المحبوب ما هي إلا علامات تشير إلى الحمرة، وهذه الحمرة من دلالات الجمال والحسن التي أراد الشاعر أن يصف بها محبوبه.

والذي ينظر إلى تلك العلامة السيميائية في التركيب السابق يجد أنه يشير في مظهره المباشر إلى الذنوب بمعناها المجرد، بينما يحاول الشاعر أن يعلن عن معانيه العميقة من خلال استيعاب المتلقي لسياق الأبيات، والتي تشي في النهاية بوصف حسن ذلك المحبوب، ومدى جمال خده.

وقد يأتي اللون في إشارته العامة ليعمل كقرينة أيقونية/ سيميائية ترتبط بالدلالات العميقة- التبدل والتحول- التي تظهر في سياق الأبيات؛ حيث يقول ابن اللبانة الداني:

لِكُلِّ شَيْءٍ مِنَ الأَشْيَاءِ مِيقَاتُ ∴ وَلِلْمُنَى مِنْ مَنَائِيهِنَّ غَايَاتُ

وَالدَّهْرُ فِي صِيْغَةِ الْحِرْبَاءِ مُنْغَمِسٌ ∴ أَلْوَانُ حَالاتِهِ فِيهِ اسْتِحَالاتُ

وَنَحْنُ مِنْ لُعَبِ الشَّطْرَنْجِ فِي يَدِهِ ∴ وَرُبَّمَا قُمِرَتْ بِالْبَيْدَقِ الشَّاةُ [2]

فالشاعر في هذه الأبيات يريد أن يتحدث عن تقلبات الدهر ونوائبه، وهو في ذلك يعتمد على الوصف اللوني (صبغة الحرباء)؛ ليشير من خلالها إلى اللون وتغيره من مكان لآخر، متمثلاً

(١) المصدر السابق، ص ٢٥.

(٢) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ٣٦.

في الحرباء، وهذا الوصف اللوني جاء كعلامة سيميائية تخبر عبر معانيها العميقة إلى فكرة التحول والتبدل.

ويتأكد ذلك الوصف السيميائي من خلال كلمة (ألوان) التي جاءت في بداية الشطر الثاني من البيت؛ حيث تشير إلى مدى تبدل الدهر وتحوله كما تتبدل الحرباء إذا ما انتقلت من مكان إلى آخر.

وفي إشارة سيميائية كذلك إلى اللون بشكل عام يصف لنا الشاعر خط أحد الناسخين عندما يكتب بالقلم على الصفحات قائلاً: (الكامل)

أَبْصَرْتُ أَحْمَدَ نَاسِخًا فَرَأَيْتُ مَا ∴ أَعْنِي وَأَعِي أَنْ يَحَدَّ وَيُوصَفَا

وَكَأَنَّمَا مُنِحَ السَّمَاءَ صَحِيفَةً ∴ وَاللَّيْلَ حِبْرًا وَالكَوَاكِبَ أَحْرُفَا(١)

فالأيقونة السيميائية التي تمثلت في وصف الشاعر (الليل حبرًا والكواكب أحرفا) إنما تشير إلى اجتماع اللونين الأسود والأبيض في سياق واحد، فالشاعر لم يقصد تلك الدلالة المباشرة التي تتمثل في الليل وفي الكواكب، وإنما قصد إلى تلك الدلالة المغايرة التي تتجلى في مداد القلم مشبهًا إياها باللون الأسود المتمثل في الليل، وفي الورق الذي شبهه باللون الأبيض متمثلاً في الكواكب.

إن مثل هذا التصوير غير المباشر الذي أتى به الشاعر لوصف عملية الكتابة يقف عند حدود العلامة السيميائية التي تظهر لنا المعنى القريب المباشر، ومن ثم المعنى البعيد الضمني الذي أراد الشاعر طرحه داخل قصيدته.

وفي ثنائية ضدية يعمد الشاعر إلى توظيف اللونين الأبيض والأسود ليمثلا أيقونة سيميائية تعبر عن دلالات عميقة تتكشف خلال سياق الأبيات؛ حيث نرى ابن اللبانة يقول: (الطويل)

أُفَكِّرُ فِي عَصْرٍ مَضَى لَكَ مُشْرِقٍ ∴ فَيَرْجِعُ ضَوْءُ الصُّبْحِ عِنْدِيَ مُظْلِمَا

وَأَعْجَبُ مِنْ أُفُقِ المُجَرَّةِ إِذْ رَأَى ∴ كُسُوفَكَ شَمْسًا كَيْفَ أَطْلَعَ أَنْجُمَا(٢)

فالثنائية الضدية التي أتى بها الشاعر في هذه الأبيات، والمتمثلة في (ضوء الصبح المظلم) في البيت الأول، و(كسوف الشمس المضيء) في البيت الثاني، دلت على تحقق اللونين الأبيض والأسود، وهذه الثنائية عملت كقرينة أيقونية/ سيميائية أراد الشاعر من خلالها أن يوجه نظر

(١) المصدر السابق، ص ٩٣.

(٢) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ١٢٣.

المتلقي إلى تلك المقابلة التي تظهر في ضوء الصبح الذي أظلم بعدما كان مضيئًا، وهو يقصد به وقوع الملك المعتمد بن عباد في الأسر، وكذلك كسوف الشمس المضيء، وكأنه يريد أن يقول بأن الدنيا مهما أظلمت، ووقع هذا الأمير في الأسر، فإنه سوف يكون ملكًا ذا مكانة عالية.

وبعد، فإن اللون غير المباشر مثل لدى الشاعر أيقونات سيميائية كشفت عن دلالات الشاعر ومقصديته داخل قصائده، وأشارت في الوقت نفسه إلى تحقق اللون الذي يقصد إليه الشاعر.

[٣] ثنائية الأبيض والأسود:

كثيرًا ما يوظف الشاعر اللونين الأبيض والأسود في سياق واحد، قاصدًا من ذلك تحقيق التقابل والتضاد بينهما، وقد يأتي بهما الشاعر بشكل مباشر أو غير مباشر إلا أنهما في النهاية يظهران كمؤشر سيميائي يعمل على تحقيق تلك الأيقونة/ العلامة السيميائية التي تتحقق في ظهور دلالتين إحداهما مباشرة سطحية، والأخرى غير مباشرة عميقة، ومن ذلك قول ابن اللبانة الداني في المديح: (الطويل)

أَنَا العَبْدُ أَهَّلَنِي إِلَى البِشْرِ وَالرِّضَا ∴ لِمَنْ لِلْمَعَانِي وَالمَكَارِمِ أَهَّلَكْ

أُقَاسِمُكَ النَّفْسَ الَّتِي فِي جَوَانِحِي ∴ مُقَاسِمُكَ المُعْطِيكَ غَايَةَ مَا مَلَكْ

فَمَا اسْوَدَّ فِيهَا مِنْ ظَلامٍ يَكُونُ لِي ∴ وَمَا ابْيَضَّ فِيهَا مِنْ ضِيَاءٍ يَكُونُ لَكْ[1]

فابن اللبانة الداني في الأبيات السابقة يقابل بين اللونين الأسود والأبيض، وهذا التقابل أراد من خلاله أن يعكس حالته في مقابل حالة ذلك الأمير الممدوح، ومن خلال ذلك ظهرت تلك الألوان لتمثل علامة سيميائية تشير إلى دلالتين مرتبطتين؛ إذ إن الشاعر لا يقصد إلى (الظلام) بمعناه المباشر، ولكن إلى ما يوحيه ذلك اللون من دلالات تشير إلى الحظ القليل والمكانة الوضيعة، وكذلك في المقابل نجد أن كلمة (أبيض) توحي في معناها العميق إلى المكانة العالية والرفعة، وكأن الشاعر يريد أن يقول إن الأعمال الحقيرة الوضيعة تنسب إليه، بينما الأعمال الكريمة تنسب إلى ذلك الأمير.

ومن تلك الثنائية التقابلية كذلك بين اللونين الأبيض والأسود قول ابن اللبانة واصفًا حظه وحاله: (الطويل)

(١) ابن اللبانة الداني: ديوانه، ص ١٠٤، ١٠٥.

وَفِي القَـيْظِ مَـا يَـدْعُو البَيَـاضَ لِلابِـسٍ ∴ يَكُـونُ بِـهِ بَـرْدٌ لَـهُ وَسَـلامٌ

لَبِـسْتُ سَـوَادًا وَالجَمِيـعُ مُبَـيَّضٌ ∴ كَـأَنِّي غُـرَابٌ وَالأَنَـامُ حَمَـامٌ[1]

ففي هذه الأبيات يعقد ابن اللبانة الداني مقابلة ما بين حاله وبين حال الآخرين، فنراه يستعير السواد لنفسه، بينما يصف الآخرين بالبياض، وما بين اللونين نجد ظهور تلك الأيقونة السيميائية التي تكشف لا إلى اللونين – الأبيض والأسود– في حد ذاتهما، ولكن إلى حظ كل من الفريقين في هذه الحياة، ويأتي تأكيد تلك الدلالة عبر وصف الشاعر نفسه بالغراب، وما يرتبط في أذهان الجميع من دلالات التشاؤم، بينما شبه البقية بالحمام، وما يرتبط به من دلالات الألفة والرقة.

يمكننا في النهاية أن نؤكد على أن ابن اللبانة الداني استطاع أن يمنح ألوانه أبعادًا دلالية بعيدة غير أبعادها المباشرة، وأن يوظفها داخل سياقها بما يمنحها تأثيرًا كبيرًا في الكشف عن معانيه وأفكاره داخل قصائده المتنوعة.

(١) المصدر السابق، ص ١٣٢.

خاتمة وأبرز النتائج:

بعد دراسة (سيمياء الألوان في شعر ابن اللبانة الداني) توصلت الدراسة إلى عدة نتائج لعل من أبرزها:

١- ورد اللونان الأبيض والأسود كأبرز وأهم الألوان التي شكلت خصيصة سيميائة في شعر ابن اللبانة الداني.

٢-كان للون الاسود حضور كبير على مستوى الشفرات والأيقونات السيميائية حيث عبر عن مضامين الشاعر بشكل كبير.

٣-وظف الشاعر عدة ألوان أخرى كالأخضر والاصفر وغيرهما كشفرات سيميائية من أجل الكشف عن دلالاته المتنوعة.

٤-كان للألوان حضور بارز في التمثيل السيميائي داخل أشعار ابن اللبانة الداني.

قائمة المصادر والمراجع:

١) أحمد مختار عمر: اللغة والفنون، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٣، ١٩٩٧م، ص ١٨٥.

٢) عز الدين المناصرة: جمرة النص الشعري، مقاربات في الشعر والشعراء والحداثة والفاعلية، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠٧م، ص ٥٩.

٣) شاكر عبد الحميد: التفضيل الجمالي، عالم المعرفة، العدد ٢٦٧، مارس ٢٠٠١م، الكويت، ص ٤٤.

٤) نائل درويش: سيمياء الألوان في شعر بلند الحيدري، ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين، ٢٠١٤م، ص ٦١.

٥) فاتن عبد الجبار جواد: اللون لعبة سيميائية، بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، الأردن، ط١، ٢٠١٠م، ص ١٥٧.

٦) ابن اللبانة الداني، ديوانه، جمع وتحقيق: محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط ٢، ٢٠٠٨م، ص ٢١.

٧) محمد صابر عبيد: مرايا التخييل الشعري، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ٢٠٠٦م، ص ٢٢٤.

٨) تيسير جريكوس، فاديا سليمان: سيميائية اللون في شعر الماغوط، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، عدد ٢٤، ٢٠١٧م، ص ٣٢، جامعة تشرين، سوريا.

٩) محيي الدين طالو: الرسم واللون، طبعة الشام، دمشق، ط٧، ١٩٩٣م، ص ١٧١.

١٠) يوسف حسن نوفل: الصورة الشعرية والرمز اللوني، دراسة تحليلية إحصائية لشعر البارودي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور، دار المعارف، القاهرة، ب.ت، ص ٤١.